الفصل الثاني

التفكير الإبداعي من منظور إسلامي

ماهية التفكير الإبداعي

إن من أصعب ما تواجهه التربية (الدراسات التربوية) بوجه خاص هو تحديد المصطلحات ، وهذا هو الحال بالنسبة لمصطلح التفكير الإبداعي الذي عانى كغيره الكثير من الغموض نتيجة لشيوعه وكثرة استخدامه بواسطة أفراد ذوي تخصصات مختلفة وأُطر ثقافية متباينة ، وعلى الرغم من ذلك يمكن تصنيف هذه التعريفات في مجموعتين هما :

١- تعريفات ركزت على التفكير الإبداعي كعملية ومنها :

- تعريف اندروز (١٩٦١) الذي يرى أن التفكير الابتكاري هو " العملية التي يمر بها الفرد في أثناء خبراته والتي تؤدي إلى تحسين وتنمية ذاته ، كما أنها تعبير عن ذاته وفرديته "[١]

- تعريف هانجمان ورينجولد *(Hangman&Rheingold)* الذين يؤكدا أن التفكير الابتكاري هو " حالة من الإتقان الذهني لمخ الإنسان يستطيع أثنائها إنجاز مهام وتحقيق أهداف تعليمية بدرجة عالية من الدقة والكفاءة .

- تعريف *Torrance* (١٩٧٧) الذي يرى أن الابتكارية هي عملية يصبح فيها الفرد حساساً للمشكلات وأوجه النقص وفجوات المعرفة والمبادئ الناقصة وعدم الانسجام وغير ذلك ، فيحدد فيها الصعوبة ويبحث عن الحلول ، فيضع التخمينات ويصوغ فروضاً ثم يختبرها ويعيد اختبارها ويعدلها ويعيد اختبارها ، ثم يقدم نتائجه في آخر الأمر ".

---

١ نقلاً عن أمل الخليلي (٢٠٠٥).

- تعريف سميث Smith (١٩٩٦) الذي يقول عن التفكير الابتكاري أنه " عملية في الكائن البشري تلقائية أو منفردة من خلال استخدام المعرفة السابقة وتقييم المعلومات للتفكير أو العمل بطريقة جديدة.[١]

- تعريف أحمد النجدي وأخرون (٢٠٠٢) الذي يصف التفكير الإبداعي على أنه "عملية تتضمن المرونة التلقائية والطلاقة الفكرية والأصالة في حل المشكلات".

٢- تعريفات ركزت علي التفكير الإبداعي كنتائج تتسم بالخبرة والأصالة . ومنها :

- تعريف مديحة عثمان عبد الفضيل (١٩٨٥) التي ترى أن التفكير الإبداعي هو " القدرة على إعادة تركيب الخبرات السابقة في أشكال جديدة لا مبرر لها من قبل ، وهذه التكوينات تساعد الفرد على حل مشكلات بيئية مما يساعده على التكيف مع البيئة ".

- تعريف عادل عز الدين الأشول (١٩٨٧) الذي يراه على أنه " القدرة على إنتاج عدد كبير من الأفكار الأصلية غير العادية ودرجة عالية من المرونة في الاستجابة وتطوير الأفكار والأنشطة وهو تفكير ذو نتائج خلاقة ".

- تعريف سيد خير الله (١٩٩٠) الذي يقرر أن التفكير الإبداعي هو "قدرة الفرد على الإنتاج إنتاجا يتميز بأكبر قدر من الطلاقة الفكرية والرؤية التلقائية والأصالة والتداعيات البعيدة وذلك استجابة لمشكلة او موقف مثير".

---

١ نقلا عن فاطمة عاشور (٢٠٠٨).

- تعريف محمود عبد الحليم منسي (١٩٩١) الذي يقرر أن التفكير الإبداعي هو "قدرة الفرد على التفكير الحر الذي يمكنه من اكتشاف المشكلات والمواقف الغامضة ومن إعادة صياغة عناصر الخبرة في أنماط جديدة، عن طريق تقديم أكبر عدد ممكن من البدائل لإعادة صياغة هذه الخبرة بأساليب متنوعة وملائمة للموقف الذي يواجهه الفرد، بحيث تتميز هذه الأنماط الجديدة بالحداثة بالنسبة للفرد والمجتمع الذي يعيش فيه، وهذه القدرة يمكن التدريب عليها وتنميتها"،

- تعريف هوفمان *Huffman et al (١٩٩٤)* الابتكار هو طريقة خاصة لحل المشكلات تتضمن اتحاد عناصر جديدة أو غير مألوفة لتكوين أشياء عملية لها معنى.

- تعريف مصري عبد الحميد حنورة (١٩٩٥) الذي يصفه بأنه " الأداء المتميز المتفوق لفعل من الأفعال الذي ينتج عنه منتج يتميز بخصائص الجدة والملائمة والاقتصاد ".

- تعريف عبد السلام عبد الغفار (١٩٩٧) الذي يقرر أن التفكير الإبداعي هو " تلك الظاهرة الإنسانية المعقدة المتعددة الجوانب ، التي ينتج عنها ناتج جديد ".

- تعريف نبيل علي (٢٠٠٩) الذي يقول أن التفكير الإبداعي (الخلاق) ملكة عقلية موزعة على البشر بصور مختلفة، تتمثل في القدرة على الدفع بالتفكير ليولد أفكاراً جديدة تسهم في تغيير أفعالنا وسلوكنا.

ومن التعريفات التي ركزت على الإبداع كعملية وكناتج تعريف محمد المفتي الذي يرى أن الإبداع " عملية لها مراحل متتابعة وتهدف إلى نتاج يتمثل في إصدار حلول متعددة تتسم بالتنوع والجدة وذلك في ظل مناخ عام يسود الاتساق والتآلف بين مكوناته (زين العابدين شحاته ، ١٩٩٩). وكذلك يمثل التفكير الإبداعي عند فتحي مصطفى الزيات (١٩٩٥) سلسلة من العمليات العقلية المعرفية التي تصل بالفرد إلى إنتاج الجديد سواء كان فكرة أو موضوعاً أو شيئاً مادياً، وتسير في نفس الاتجاه نايفة قطامي (٢٠٠١) فترى أن التفكير الإبداعي "نشاط ذهني أو عملية تقود إلى إنتاج يتصف بالجدة والأصالة والقيمة في المجتمع ويتضمن حلولاً جديدة للأفكار والمشكلات والمناهج"،

ونظراً لتعدد التعريفات فقد أثر بعض التربويين أن يتبنوا تعريفاً شاملاً للتفكير الإبداعي قد قدمه *Newoll (١٩٦٢)* ، والذي خلاصته أن التفكير الإبداعي هو التفكير الذي يتسم بعدم التقليدية . وتتسم نواتجه بالجدة والقيمة لدى الشخص المفكر والثقافة التي ينتمي إليها، وتدفع المفكر إليه دافعية قوية ومثابرة عالية، وتتضمن المهام التي يقوم بها الفرد، وأثناءه يسعى لصياغة واضحة لمشكلة غامضة وغير محددة في البداية (فؤاد أبو حطب وأمال صادق، ١٩٩٦).

ويمكننا القول بأن التفكير الابتكاري هو "نمط تفكيري غير تقليدي، لصاحبه عدد من السمات الخاصة كالمثابرة ،و التفرد ، وحب الاستطلاع ، والذكاء، وينطوي على مجموعة من العمليات العقلية المركبة تنتهي بالوصول إلى منتج فريد في نوعه، أصيل في ذاته ....".

هذا، وقد ارتبط بالتفكير الإبداعي عدد من الأفكار الخاطئة، منها (حسني عبد الباري عصر، ١٩٩٩):

١- انعدام الصلة بين التفكير الإبداعي والناقد :

يعد الفصل بين هذين النمطين من التفكير تبسيط مخل، فالابتكار في حل المشكلات نوع من انتقاء الأفضل من مجموعة حلول متوافرة، و مثل هذا الانتقاء أساسه التفكير الناقد ليس غير ، ومن ثم فأي تربية تركز على واحد فقط من المدخلين السابقين منقوصة غير متوازية .....

٢- الإبداع ابن مواد دراسية بعينها دون أخرى :

أي لون من ألوان النشاط العقلي الإنساني يتضمن أصالة وتخيلاً، ينبغي النظر إليه على انه ابتكار بغض النظر عن تصنيف العلوم إلى العلوم والانسانيات.

٣- الإبداع تأدية أفعال خاصة معزولة عن الناس :

قد يبدو من ملاحظة المبتكرين أنهم معزولون عن بيئاتهم ، لأنهم منغمسون في ألوان مختلفة من الأنشطة التي يظنها العامة شخصية ذاتية، وهم في الحقيقة يمارسونها في مجالات متباينة تبايناً واسعاً.

٤- الإبداع يتطلب نسبة ذكاء مرتفعة :

هناك فريق من العلماء يميز بين الذكاء والإبداع ويرى العلاقة بينهما ضئيلة ، وإن لم تكن معروفة ، بينما يوحد فريق أخر بينهما ويقول بأن الإبداع ما هو إلا مظهر للذكاء العام للفرد وليست هناك قدرة خاصة "للإبداع" . لكن هناك شواهد كثيرة في مستويات الابتكار تؤكد أنه لا يوجد ارتباط بينها وبين درجات المبتكرين أنفسهم على اختبارات الذكاء، وهذا خلط شائع لدى الناس عمومهم وخصوصهم.

مراحـــــل التفكير الإبداعي

ربما يعترض البعض –بداية– على اختيار مصطلح مراحل الإبداع، وذلك اعتقادا منهم بأن الإبداع لا يمر كغيره من الأنشطة الأخرى بمراحل بل يظهر على السطح الناتج الإبداعي – فجأة – في لحظة تسمى بلحظة الإشراق، وكل ما يسبق هذه اللحظة يعتبر نشاطا خارج حساب الزمن. والحق –كما يذكر حسن أحمد عيسى (١٩٩٣) – أن فكرة تقسيم عملية الإبداع إلى مراحل تعود إلى ذلك التصور الذي يقضي بأن الناس جميعاً يمتلكون كل القدرات والسمات، ولكن بقدر يتفاوت من فرد إلى آخر، ومن جماعة إلى أخرى . وحين استقر هذا التصور الجديد لدى علماء النفس بدأوا دراسة الإبداع من جوانب عديدة منها " عملية الإبداع " ...

وترى ناهد عبد الراضي نوبي (١٩٩٨) أن تقسيم العملية الإبداعية إلى مراحل وجوانب محددة في صورة إجرائية لها أهميتها في إمكانية التدريب عليها كمهارات يمكن أن يكتسبها المتعلم من خلال بيئة تعليمية مناسبة. والعملية النفسية هي " سلسلة مستمرة من التغيرات أو الوقائع المتتابعة والمعتمد بعضها على بعض " (حسن أحمد عيسى، ١٩٩٣).

ويرى البعض أن العملية الإبداعية تنطوي على مراحل أربع هي :[1]

---

[1] راجع في ذلك:
رجاء محمود أبو علام ونادية محمود شريف. (١٩٩٥).
زيد الهويدي. (٢٠٠٢).
مجدي عزيز إبراهيم. (٢٠٠٥).
احمد عبد اللطيف عبادة. (٢٠٠١).
سوسن شاكر مجيد (٢٠٠٨)

١- مرحلة الإعداد أو التهيؤ :

وتعني هذه المرحلة أن الإبداع سواء كان إبداعاً علمياً أو فنياً لا يظهر فجأة ودون سابق إنذار، وإنما تكون هناك مجموعة من المثيرات التي تستثير وتحقق الرغبة في نفس الفرد لأداء عمل ما ... فمن يمسك بالقلم لكتابة قصيدة فهو يستجيب لنداء وحي أو لفكرة جاءت بخاطره أو لموقف أو مشهد رآه ... وهذا المثير يسبب حالة من الانشغال الفكري لدى المبدع يدفعه إلى جمع معلومات شاملة عن الموضوع، وهو بذلك يحاول – جاداً – الإحاطة بالموقف من جميع أبعاده بشكل متعمق .

٢- مرحلة الاحتضان :

في هذه المرحلة يتحرر العقل من كثير من الأفكار التي ليس لها علاقة بالمشكلة وينصب فقط على المشكلة نفسها بجميع أركانها ، ويكون الخيال في هذه المرحلة نشطاً، مما يسمح للمبدع بإعادة قراءة المشكلة، ويصاحبه في ذلك نوع من التوتر والقلق والتقلبات المزاجية والنفسية الحادة، لذا فهي تسمى أحياناً بمرحلة المخاض.

٣- مرحلة الإشراق

وكثيراً ما يطلق على هذه المرحلة مرحلة الإلهام حيث يأتي حل المشكلة بصورة فجائية وفي العادة تأتي الأفكار الجديدة إلى عقل المبدع وكأنه يوجد هناك شخص أخر يمده بهذه الأفكار. وتساعد مرحلة الاحتضان بما تتميز به من نشاط عقلي يتسم بالهدوء النسبي وزيادة وضوح العلاقات بين الحقائق المعروفة أصلاً وصفاء الذهن على حدوث ومضة الإبداع أي اللحظة التي تولد فيها الفكرة الجديدة المؤدية لحل المشكلة ، أي أن المبدع يجد ضالته التي كان يبحث عنها.

٤- مرحلة التحقيق :

تتضمن هذه المرحلة الاختيار التجريبي للفكرة المبتكرة ، والتعرف على مدى إمكانية تحقيقها وتنفيذها عملياً . وعلى الشخص المبدع أن يتوقع النقد لفكرته من قبل آخرين سلباً وإيجاباً ..كما عليه ألا يستبعد أن يأتي شخص آخر في زمن ما وفي مكان ما ليبين مواطن الضعف والقصور عند فكرته الجديدة المبدعة. فلكل فكرة مواطن ضعف وقصور مهما بلغت من الجدة والأصالة ... لأنها تقع في نطاق العمل البشري الذي لابد وأن يعتريه نوع من القصور .

وفي كثير من الأحيان نجد أن المرحلتين الأخيرتين تلتحمان معاً أو تتداخلان دون فاصل بينهما أو يختلف ترتيبها فيأتي التحقيق أو التنفيذ أولاً ، وخاصة في الفنون التطبيقية ...

ويلفت حسن أحمد عيسى (١٩٩٣) النظر إلى أنه على رغم ما كان لفكرة مراحل عملية الإبداع من قيمة في تحليل النشاط الإبداعي والبعد عن الأفكار السحرية الغامضة الناتجة عن تعقد العملية ككل إلا أنه وجد من ناحية أخرى أن التسليم القبلي بوجود مراحل لعملية الإبداع أدى بالباحثين في معظم الأحيان إلى تركيز الانتباه فيما يثبت هذه المراحل أو يؤكدها، وإهمال ما عدا ذلك وقد انتقد البعض مرحلة الاحتضان وذلك لصعوبة تحديدها وقياسها .. ومن الباحثين من لا يعترف مطلقاً بوجود أي خطوات لعملية الإبداع ويختزلها إلى خطوة واحدة هي لحظة الخلق " الإشراق" وهناك من يرى أن " مراحل عملية الإبداع " فكرة تحليلية ذرية تجزئ السلوك الإبداعي الكلي وتفتته مما يفقده معناه وقيمة.

سمات المبدعين

تختلف أساليب التفكير لدى الناس وفقاً لما هو معروف بسلم التفكير، فمنهم من لا يستطيع الارتقاء بتفكيره إلى مستوى قدراته العقلية، ومنهم من يبقى أسير جموده الفكري فلا يبرح قاعدة السلم. ولذا فإننا عادة ما نرى بعض الناس يصلون إلى أعلى مستويات التفكير التجريدي مما يؤهلهم لإدراك جميع الحقائق وتقبل المفاهيم الجديدة والتوصل إلى النتائج بسرعة وبدون عناء بينما نرى غيرهم يفكرون على أدنى مستوى فلا يغادرون فئة التفكير العيني ولا يستقبلون سوى عدد محدود من المنبهات البيئية (رمضان محمد القذافي،١٩٩٩). وهذا هو الفارق بين الفرد المبدع وغيره، فالمبدع يسبح بتفكيره وخياله ويصل إلى حلول أصيلة ونتائج غير متوقعة، وينأى بنفسه عن التقليد والجمود، كما يتسم بالثقة العالية في النفس وعلو الهمة وبعد الأمنية وإفراط الطموح.

لكن بعض علماء النفس المعاصرين يؤكدون على أن جميع الأفراد ومنهم بالطبع المتعلمون يملكون قدراً من القدرات الإبداعية لذا بوسع المعلمين أن يتوقعوا الابتكار عند طلابهم بغض النظر عن مقدارها ومقدار قوتها ومقدار تكرارها ..

وشخصية المبدع تعتمد على مجموعة من المكونات والعوامل المتشابكة التي تحيط به منذ طفولته، وحتى بلوغه ، كالعوامل الجسمية والوراثية والظروف البيئية المحيطة .. ومن ذلك نظرة المجتمع أحياناً إلى الشخص المبدع على أنه شخص غير عادي ، بمعنى أن سلوكه شاذ أو غير سوي لخروجه على المألوف في تفكيرهم ...

ومجتمعنا اليوم في حاجة بالغة إلى الأشخاص المبدعين القادرين على العطاء وتقديم الحلول الجديدة التي تساعد في حل مشاكلنا، فهؤلاء هم الثروة البشرية الحقيقية التي يمتلكها مجتمعنا وهم أغلى وأثمن ما نملك ...

ولم يشعر الإنسان بحاجته إلى هؤلاء النفر من الناس بقدر ما شعر بها في النصف الأخير من القرن العشرين . ولم يشهد تاريخ البشرية حقبة من الزمن تحدث فيها العديد من الكتاب والمفكرين وأصحاب الرأي عن حاجة هذا العصر إلى من المبدعين من الناس بمثل ما حدث في مثل هذه الأيام التي نعيشها . فقد نادى المفكرون بأن حضارة الإنسان ستدمر إن لم يظهر من الناس من ينتقد الإنسان مما صنعه(أمل الخليلي، ٢٠٠٥).

ولابد لنا قبل أن نسترسل في هذا الحديث عن السمات المحددة للمبدعين أن نحدد منذ البداية ما هو المقصود بكلمة " سمات الشخصية " إن السمة عند علماء النفس تمثل استعداداً عاماً أو نزعة عامة تطبع سلوك الفرد بطابع خاص وتشكله وتلونه وتعين نوعه وكيفيته . والاستعدادات هنا هي المسئولة عن هذا السلوك وعن الثبات والاتساق الذي تلاحظ منه. وتنظيم هذه السمات في شكل هرمي تسوده أما سمة واحدة رئيسية أو عدة سمات مركزية ، ويلي ذلك مجموعة من السمات الثانوية وهناك من أطلق على السمة / السمات الرئيسية صفة " الأولية " بينما سميت السمات الثانوية بالسمات السطحية (حسن أحمد عيسى ، ١٩٩٤).

ومن أهم السمات التي يتصف بها الشخص المبدع ما يلي

١- قوة الملاحظة ، والقدرة على التركيز والانتباه لفترة طويلة .

٢- الثقة بالنفس والمثابرة والإصرار وقوة الإرادة وتحمل المسئولية .

٣- حب الإطلاع والاستفسار عن دقائق الأمـور .

٤- الحماس المستمر للعمل .

٥- الرغبة في التقصي والاكتشاف .

٦- تفضيل المهام العلمية والرياضية والأدبية والفنية التي فيها نوع من التحدي والصعوبة .....

٧- القدرة على المشاركة في أوجه النشاط الاجتماعي .

٨- البراعة وسعة الحيلة وسرعة البديهة وتعدد الأفكار وتنوعها .

٩- الإبداع في عرض الأفكار ورحابة الخيال.

١٠- القدرة العالية على التحليل والتركيب.

١١- امتلاك خلفية نظرية واسعة وعميقة في حقول علمية وأدبية ولغوية وفنية ...

١٢- كثرة الإطلاع في مجالات متعددة ..

١٤- تعدد الاهتمامات والميول .

١٥- الاستقلالية في الفكر والعمل.

١٦- الانعزال والانطواء لدى الكثيرين منهم.

١٧- انخفاض مستوى القلق.

١٨- انخفاض روح العنف.

١٩- ارتفاع مستوى الغموض .

٢٠ - الجرأة والمغامرة والتحرر .

٢١- ضبط الذات.

٢٢- الإنتاج الذهني.

٢٣- عدم الخوف من الوقوع في الخطأ ....

وتجدر الإشارة إلى أن هذه السمات الإبداعية وغيرها من السمات الشخصية تأخذ شكل التوزيع الإعتدالي شأنها في ذلك شأن السمات والقدرات الإنسانية الأخرى كالذكاء والقدرات الخاصة ....

وأدق تصور لهذه السمات هو تصورها على انها تمثل متصلاً أو تدريجاً يتوزع عليه الناس ، فيمكن وضع كل شخص عند نقطة على هذا المتصل ..

ويمكن التأكيد هنا على عدم حصرية هذه الصفات بل القائمة مفتوحة، إذ أن هذه السمات ما هي إلا نتائج دراسات تربوية على فئات مختلفة بين الأفراد

المتسمين بالإبداع كما أنه لا يجب التفكير بعكس الاتجاه كقولنا " كل فرد واثق من نفسه مبدع "، أو كل منطوي مبدع " معتمدين في ذلك على ما أوردنا من سمات عامة مشتركة بين المبدعين ، ولكن الأجدر أن نقول إن المبدع غالباً ما يتصف بالثقة في النفس وبالانطواء .....

والأمثلة على توافر هذه الصفات فيمن أبدعوا من العرب والمسلمين كثيرة، ويمكن أن نضرب مثالاً على ذلك بالشافعي (رضي الله عنه)، فقد عرف عنه أنه فصيح اللسان، بليغ الحجة في لغة العرب، متضلع في اللغة والأدب والنحو، واسع الإطلاع ، فقيه النفس، موفور العقل، صحيح النظر والتفكر ، عابدا ذاكرا، محباً للعلم والاستدلال بالدليل وقواعد الاجتهاد وأصول الاستنباط، ثقة في دينه، معروف بالصدق، مشهور بالضبط، والحماس للعلم والتعلم، ذو منهجية مستقلة، متعدد الاهتمامات، قوي الملاحظة، عميق الرؤية والتحليل، غزير الإنتاج، بعيد النظرة، عميق الفكر، يتسم شعره بالتأمل والتجريد والتعميم وضغط التعبير واستخدام الصور والتشبيهات الكلاسيكية والمقابلات والمفارقات التي تجعل من الكلام ما يشبه الأمثال، قال عنه احمد بن حنبل : ما مس أحد محبرة ولا قلما إلا وللشافعي في عنقه منة . وقال أيوب بن سويد : خذوا عن الشافع اللغة.